11me Année No. 506

Lundi - 15 - 3 - 1943

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٦ «القاهرة فى يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

## الفهـــرس


| صفحة | | |
|---|---|---|
| ٢٠١ | دفاع عن البلاغة ... ... | أحمد حسن الزيات .. ... |
| ٢٠٣ | فى ضيافة الهلالى باشا ... | الدكتور زكى مبارك ... ... |
| ٢٠٦ | ذكرى السيد جمال الدين | الأستاذ محمود شلبى ... ... |
| ٢٠٧ | لا ... بل النحاة واللغويون تفسات ! ... ... ... | الأستاذ عبد الحميد عنتر .. |
| ٢١٠ | طلبة تستقبل فرعون مصر | الكاتب الفرنسى تيوفيل جوتييه بقلم الأستاذ أحمد أحمد بدوى |
| ٢١٢ | السيدة سكينة بنت الحسين | الأستاذ سعيد الديوه جى .. |
| ٢١٤ | الذكرى الباسمة ... ... | للشاعر الفرنسى «جان ريشبان» بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى |
| ٢١٥ | المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... ... | المستشرق «إدورد وليم لين» بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور |
| ٢١٦ | غروب [قصيدة] ... | الأستاذ محمود حسن إسماعيل |
| ٢١٧ | فى «ليالى الملاح التائه» | الأديب حسين محمود البشبيشى |
| ٢١٩ | هل الأسكندر الأكبر هو ذوالقرنين المذكور فى القرآن | الدكتور إبراهيم الدسوقى .. |
| ٢١٩ | حول تراث بنى إسرائيل | الأستاذ عبد المتعال الصعيدى |


# ٧ ـ دفاع عن البلاغة

## الـــذوق

يكثر ترداد كلمة (الذوق) فى البلاغة، كما يكثر ترداد كلمة (العقل) فى الفلسفة. ذلك لأن حاسة الذوق هى أداة الفن، كما أن ملكة العقل هى أداة العلم. فمن لا يذق لا يدرك الجمال، كذلك من لا يفقه لا يعرف الحق. ولم تؤت البلاغة إلا من فساد الذوق فيمن يكتب أو فيمن يقرأ. ولم أجد فيما أثر من أدبنا، ولا فيما نقل إلى لغتنا، كلاماً يفيد طالب البلاغة فى موضوع الذوق على ما له من بليغ الأثر فى إنشاء العمل الفنى وصحة تقديره ودقة نقده. لذلك لم أر من الفضول، وأنا فى مقام الدفاع عن البلاغة، أن أحاول تجلية هذا المعنى بمقدار ما يحسن الاستطراد فى موضوع يؤدى على الطرف الأقصى من الإيجاز

* * *

ما هو الذوق؟ الذوق حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر فى أثر من آثار العاطفة أو الفكر. وقديماً فطن الناس إلى الشبه بين الذوق الحسى الذى يميز بين الطعوم، وبين هذا الذوق المعنوى الذى يحكم فى نتاج الفنون. وما أظنهم وقفوا بوجه الشبه بين هاتين الحاستين عند طبيعة الإدراك، وإنما تعدوا به إلى قابليتهما للكمال والنقص، واختلافهما بين الناس باختلاف الزمان والمكان والخلق والعادة

على أن التنوع والتغير والاختلاف فى الذوق الحسى أضعف وأقل ، لأن مجاله مادى محدود ؛ وإدراك المادى قريب ، واستيعاب المحدود ممكن ، وفعل الطبيعة والبيئة فى تطوير الغرائز بطىء لا يكاد يحس . أما الذوق المعنوى فمجاله ما يُعجب وما لا يعجب من أعمال النفس والذهن . والمعجب وغير المعجب من هذه الأعمال أمور لا تزال تتأثر بعوامل الزمن والإقليم والجنس والتربية والثقافة والحضارة والطبقة والسن ؛ وكلما التبست هذه الأمور التبس الذوق الذى يسيرها ويديرها ويفرق بينها ويحكم عليها . فالذوق الحسى مرجعه إلى الصبيعة وللطبيعة طريقة واحدة ؛ والذوق المعنوى مرجعه إلى العادة وللعادة طرق متعددة . وإذن لا يمكن الظفر بذوق عام تصدر عنه أحكام الناس على الأعمال الفنية ، فإن ما يعجب الحضرى قد لا يعجب البدوى ، وما يطرب المصرى قد لا يطرب الأوربى ؛ فرقص (بيا) خزى عند الغربيين ، وغناء ( جانيت ) نهيق عند الشرقيين . وفى الغالب نرى الشىء الواحد يثير الاستحسان فى نفس والاستهجان فى أخرى . فكيف نجعل الذوق إذن ميزاناً فى البلاغة وهو على هذا الاختلاف ؟

إن للذوق مصدرين يستمد منهما الحكم فى جميع قضاياه : الأول العقل المتزن ، وهو يحكم فى التناسب والقصد والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، أو بين الطريقة والغاية . والذوق المستمد من هذا المصدر له ما للعقل من الوضوح الذى يشرق فى كل نفس مهذبة ؛ وقواعده كقواعد العقل لا تتغير لأنه ثابت مطرد . والفنان الذى أوتى ثقوب الذهن يكون فى مأمن من الزيغ إذا اتبع قواعد الفن لأنها وضعت على هذا الأساس المكين

والمصدر الآخر هو العاطفة ، وهى الشعور الواقع على النفس مباشرة من طريق الحواس . وهنا كان مجال الاختلاف وسبب التباين ؛ لأن الحقيقة فى الفنون غير الحقيقة فى العلوم : هى فى العلوم محصورة مضبوطة ، ولكنها فى الفنون منتشرة مبسوطة ؛ ومن ذلك كان التدرج من الحسن إلى الأحسن ، ومن الفائق إلى الممتاز . ولم ينشىء هذه الفروق إلا هذا الذوق العاطفى الذى يتولد من الصفات والعادات والحوادث فيجعل الحقيقة الفنية تختلف فى نفسها من شعب إلى شعب ، ومن قرن إلى قرن ، حتى لتختلف فى المكان الواحد ، وفى الزمان الواحد ، وفى الإنسان الواحد ، تبعاً لحالات العواطف وانطباعات الحوادث واختلافات الميول

ضع نموذجاً أمام مائة طالب ليرسموه ، ثم انظر بعد ذلك فيما عملوا تجد الرسوم كلها تتشابه لأول وهلة ؛ فإذا أطلت فيها النظر لا تجد رسمين منها يتشابهان ، لأن الذوق الخاص بكل راسم جعل الصور تختلف فى حقيقتها ، وإن لم تختلف فى جوهرها وطبيعتها

لا بد للذوق إذن من استمداد العقل والعاطفة كليهما فى تكوين حكمه : هذا بمقتضى المنطق السليم ، وتلك بمقتضى الشعور الحاصل . ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضى الأعلى وهو الطبيعة . وللطبيعة ، والحمد لله ، قانون نافذ على كل كائن . وقد كان للناس قبل أن يوجد الفن ذوق معنوى خلقته الطبيعة فيهم كما تخلق الغرائز ؛ وكان لهذه الحاسة من ميلها ونفورها قاض يحكم على كل شىء فلا يخطىء حكمه . فلما ظهر الفن لم يعارض الطبيعة ولم يناقضها ، وإنما حسنها وزينها وعمل أحسن مما عملت باتباع طريقتها واقتباس وسيلتها وملاحظة تطورها

إن الفنان كلما دنا من الطبيعة كان أنقى وأصدق . أنظر إلى أدب الجاهليين من العرب والإغريق تجد أظهر خصائصه الحقيقة والسذاجة والوضوح . ذلك لأن البدوى أو الهمجى يمتاز بقوة بصره وحدة سمعه ؛ وإن حاسته المعنوية التى تتصل بعينه وأذنه تمتاز كذلك بوضوح الإدراك وصدق الحساسة . وإذا كان ذوقه أضعف من ذوق المتمدن فى التحليل والتحديد والتمييز ، فإنه ثابت غير مضطرب ، خالص غير مشوب . لقد اخترع البدوى المجازات البيانية والصور الخطابية قبل أن ينشأ الفن ويوضع البيان . ولقد كان إذا ما ضرّم النوى أنفاسه ، وأرمض الهوى نفسه ، يخاطب الغيّاب ويظنهم يسمعونه ، ويكلم الأطلال والأموات ويعتقد أنهم يفهمونه . إسمعه حين تصيبه مصيبة فيشكو ، أو تسعفه صنيعة فيشكر ، أو تمسه إهانة فينتقم ، تجده قد شعر بأثر ذلك فى نفسه كل الشعور ، وأداه بالعبارة الملائمة أصدق الأداء ، فلا يوارب ولا يبالغ ولا يتكلف . لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه ، صريحة لا تقبل الرياء .

( البقية على صفحة ٢٢٠ )